Journal Of the Iraqia University (74-6) October (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مقال مراجعة موضوع الموروث العمراني للمدن القديمةمسببات التداعي واستراتيجيات الحماية

م. د. نهى نعمة محمد البوعربي
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية التطبيقية

Review Article: The Urban Heritage of Historic Cities: Causes of Deterioration and Protection Strategies

Dr: Nuha Nima Muhammad Al- Buarbi
University of Karbala - College of Education for Human Sciences-Department of Applied Geography.
Email: Nuha.n@uokerbala.edu.iq

الملخص:

يهدف المقال إلى تسليط الضوء على ظاهرة تداعي الموروث العمراني لمراكز المدن القديمة وتحليل أهم الأسباب وأكثرها وضوحاً، وتتبع أهمية المقال كون أن الموروث العمراني يمثل جزءاً من المدينة ويحمل في طياته تاريخها وسجل الأحداث التي مرت بها، كما يحاول التعرف على مفهوم الموروث العمراني وأهمية وسياساته، ووضع استراتيجيات التي من شأنها الحفاظ عليه من التداعي بكافة أشكاله وصوره، للتوصل إلى نتائج عامة وخاصة من شأنها التغلب على المعوقات والمساهمة في الحفاظ على المباني الأثرية، ونشر التوعية الفكرية بأهمية الموروث وضرورة اعتماد استراتيجيات الحماية والتطوير والترميم وإعادة البناء لمراكز المدن القديمة للحفاظ عليه من التداعي . **الكلمات المفتاحية:** الموروث العمراني، مراكز المدن القديمة، أسباب التداعي.

Abstract:

The article aims to shed light on the phenomenon of the deterioration of urban heritage in historic city centers and to analyze its most evident and significant causes. The importance of this article stems from the fact that urban heritage constitutes an integral part of the city, embodying its history and the record of events it has witnessed. The study further seeks to explore the concept of urban heritage, its significance, and related policies, while proposing strategies that can safeguard it against various forms and manifestations of decline. The objective is to reach both general and specific conclusions that can help overcome obstacles and contribute to the preservation of historic buildings, as well as to promote intellectual awareness of the importance of heritage. The article emphasizes the necessity of adopting strategies for protection, development, restoration, and reconstruction of historic city centers in order to preserve them from deterioration. **Keywords:** Urban Heritage, Historic City Centers, Causes of Deterioration.

مقدمة: -

تتعرض مراكز المدن القديمة إلى العديد من المشكلات الحضرية نتيجة للتوسع العشوائي وغير المدروس، مما يكون سبباً في تعرض أحيائها التراثية إلى التداعي والاندثار، وإن الحفاظ على هذا الموروث العمراني الأصيل سيكون مكلفاً للغاية؛ لذا جاء موضوع المقال لفهم وتشخيص أهم المسببات المؤدية إلى تداعيها بكافة أشكاله، ومن ثم التركيز على استراتيجيات الحماية التي من شأنها الحفاظ على هوية المدينة وطابعها العمراني الموروث. ونظراً لما تتميز به المدن العراقية القديمة، لاسيما (كربلاء المقدسة، والنجف الأشرف، ومدينة الكوفة المقدسة، والكاظمية، وسامراء) من موروث عمراني ديني مميز، فضلاً عن العديد من الطرز المعمارية المعبرة عن قيم المدينة وتاريخها الطويل الذي تكون نتيجة لتفاعل مجموعة

من العوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية. إلا أننا نلاحظ أن الموروث العمراني دخل مرحلة جديدة نظراً للانخراط الأعمى في كل ما هو جديد في البناء والسير تحت مسمى الحداثة والعولمة، وأصبح بلا تراث ولا هوية في ظل غياب المعايير والضوابط التخطيطية؛ لذا لابد من رسم استراتيجيات ومعالجات خاصة بتنظيم الأبنية والحفاظ على تراثها المعماري من التداعي وفق تشريعات عمرانية، وهذا يتم بالحفاظ على النقوش والزخارف والأبنية التراثية ومواد وأنماط البناء والارتفاعات وتجنب أي إضافات ذات تأثير سلبي، وهذا ما سيتم مناقشته في المقال.

بلورة الفكرة ومناقشتها:ظهرت فكرة حماية الموروث العمراني والحفاظ عليه في مطلع الستينات من القرن الماضي، إذ اتخذت اتجاهاً فكرياً عالمياً، وأكدت العديد من الدراسات والبحوث على أهمية الموروث العمراني لمراكز المدن القديمة، إذ يُعد من أهم الثروات الوطنية لأي مدينة. اختلف الباحثون في تحديد مفهوم موحد للموروث العمراني من خلال الاطلاع على المصادر التي تناولت الموضوع قيد الدراسة تبين أن أغلب التعاريف تعكس اتجاهاتهم وأفكارهم، فقد عُرِّف بأنه: العناصر المادية المتمثلة بالكتل المتفاعلة مع البيئة المحيطة بها المتمثلة بالفضاءات الحضرية ومسالك الحركة، بحيث يعطي الموروث إحساسًا بالماضي وإمكانية تفاعله بالحاضر وديمومته للمستقبل. وعُرِّف أيضًا بأنه: هو كل ما شيده الأجداد واستمر بقاؤه أو بقاء آثاره من حضارة سواء داخل المدينة أو خارجها، وتتباين قيمته بحسب قِدَم هذه الآثار والفترات التاريخية التي تنتمي إليها، فضلًا عن قوتها في مواجهة الزمن والظروف التي توالت عليها.بناءً على ما ذُكر سابقًا، يمكن أن نرى أن الحديث عن مفهوم الموروث العمراني مفهوم شامل لا يقتصر فقط على حماية المباني القديمة وتحويلها إلى متاحف، وإنما يتمثل بكل ما يتضمنه نسيج المدينة التقليدية بكل جوانبه. فالمدينة تمر بأطوار على مر الزمن منذ بدء نشأتها، مما ينجم عنه عمق تاريخي من حيث طبيعة الطرز العمرانية المتفاعلة مع البيئة، ويفرز منطقة الموروث العمراني التي تحمل في طياتها قيمًا روحية وجمالية من فضاءات مبنية وأخرى مفتوحة تحتل جزءًا معينًا ضمن هذا النسيج، إذ لا يُحبذ إزالتها أو نقلها من أماكنها، شاملةً بذلك كل العناصر الحضرية المكونة للنسيج الحضري للمدينة: كالمساجد والمساكن وغيرها من المنشآت الخدمية. إلا أن هذا الموروث بدأ يتعرض للتداعي بشكل مستمر بفعل مسببات طبيعية وبشرية، فضلا عن غياب استراتيجيات المعالجة في مراكز المدن القديمة بصورة عامة ومنطقة الدراسة بصورة خاصة. وقد اتخذت عملية حماية الموروث العمراني والحفاظ عليه اتجاهين: الاتجاه الأول: أن التراث مجرد بقايا من الماضي، وما يترتب عليه من تغيير في العديد من الملامح التراثية الموروثة، وهو ما يعرف باسم الحداثة. أما الاتجاه الثاني فيرى أصحابه أن التراث العمراني ثروة إنسانية لا يمكن التفريط بها، ويدعو إلى الحفاظ عليها. ولفهم الفكرة بوضوح، لا بد من طرح المحاور الآتية:**مسببات تداعي الموروث العمراني وأهميته:**مما لا شك فيه أن أي مدينة عراقية لا تخلو من مبانٍ تمتاز بطابعها العمراني التراثي، إلا أننا اليوم ننظر إليه وهو يتلاشى أمام التطور العمراني الحديث، ومن أهم أسباب تداعي الموروث العمراني عامل الزمن، إذ يلعب دورًا أساسيًا في تداعي الموروث العمراني نتيجة البعد التاريخي للبناء، إلى جانب جهل السكان بأهمية الموروث العمراني بفعل الانفتاح والاحتكاك الحضاري، فضلًا عن عامل المنافسة الوظيفية التي تتعرض لها المباني السكنية أمام الوظيفة التجارية، فضلًا عن عوامل أخرى تشترك في تداعي الموروث العمراني تتمثل في: (مواد البناء والرطوبة والموقع والموضع والإهمال وعدم الترميم)، مما يحدث تغييرًا في الموروث العمراني إما باتجاه التداعي أو باتجاه الحفاظ؛ لذا فإن حماية هذا الموروث العمراني يعد مسؤولية تاريخية وإنسانية وهدفًا أساسيًا يسهم في بقاء المعالم التراثية للأجيال الحالية والمستقبلية، لأنه يعكس هوية الإنسان (ماضيه وحاضره ومستقبله). ويمكن أن نلتمس أهمية الموروث العمراني من خلال ما يلي– :–هو عنصر متجدد وموروث اجتماعي وحضاري يجب ان نحافظ علية ليراه أبناء المستقبل.– يقدم الموروث العمراني للمدينة نماذج تخطيطية تنسجم مع الإنسان وسلوكياته.– يمثل بعدًا سياحيًا مهمًا ينبثق من أصالة المدينة وعمارتها، مما يجعله ذا قيمة تاريخية وجمالية.**استراتيجيات الحماية (الحفاظ على الموروث العمراني):** انطلاقًا من مراجعة الدراسات المرتبطة بموضوع المقال، ونظرًا لأهمية الموروث العمراني لمراكز مدننا القديمة التي تم الحديث عنها آنفًا، فإننا نرى أن استراتيجية الحماية هي الأنسب للحفاظ على التراث العمراني الإسلامي القديم وحمايته من التلف والتآكل والتشوه في شكل الموروث ومضمونه (مظهريًا وجوهريًا). تتعدد مستويات الحفاظ تبعًا لحجم ونوع التراث المعماري وأهميته. ومن أهم هذه الاستراتيجيات ما يمكن تصنيفه إلى:

١– الترميم: تهدف هذه الاستراتيجية إلى تجسيد القيمة الشكلية للمباني التراثية ومواد البناء من خلال الحفاظ على الحالة العمرانية للمبنى.

٢– إعادة البناء: تتمثل هذه الاستراتيجية في إعادة بناء الأجزاء المندثرة من المباني التي لا يمكن ترميمها، مع التركيز على الحفاظ على شكلها السابق.

٣– الصيانة والاحياء: تتمثل هذه الاستراتيجية في الحفاظ على المدلول الاجتماعي للبيئة الحضرية التاريخية لكونها تمس السكان، من خلال إيقاف حالة التدهور والتركيز على المشاركة الجماعية بين المخططين والسكان، أي إحياء المناطق التراثية ككل.يعد هذا الأسلوب من الاستراتيجيات

المهمة التي يمكن اعتمادها في مدننا العراقية القديمة من خلال الحفاظ على المباني التاريخية في مدينة الكوفة والكاظمية ومركزي الكرخ والرصافة في مدينة بغداد، واعتبار أن المدينة القديمة منطقة حفاظ؛ لذا، لا بد من الحفاظ على الأسواق التراثية والمساجد والمراقد المطهرة والخانات والمناطق التاريخية القديمة وصيانتها وتطويرها كمناطق سياحية أثرية لجذب الزوار.

الخاتمة

: نستنتج من ذلك أن المنطقة القديمة في مدننا العراقية، والتي تمثل الموروث العمراني، خلّفت وراءها تراثًا عمرانيًا يتميز بالأصالة والعراقة؛ لأنها تمثل المناطق التي قطنها السكان منذ المراحل الأولى لنشأة المدينة، إلا أن هذا الموروث بدأ يتداعى في ظل التغيرات والتطورات الحديثة التي طرأت على المدن وأدت إلى تغيرات كبيرة في نسيجها العمراني وتمزيقه لمواكبة التطورات الحديثة والمعاصرة؛ لذا فمن الضروري حتمًا الحفاظ على الطابع التراثي للمدن من مبانيها (القديمة والحديثة)، واشتقاق المباني الحديثة طبقًا للموروث العمراني. وبالرغم من أن العديد من الدراسات أشارت إلى إزالة بعض المباني المتهالكة، إلا أننا نرى من الضروري عدم إزالة أي مبنى تاريخي ذي قيمة تاريخية وثقافية وأثرية. فضلا عن الحفاظ على الأبنية التراثية التي تحتوي على خصائص البناء العربي في بنيتها المعمارية وشكلها الداخلي أو الخارجي من نقوش وزخارف تنسجم مع العادات والتقاليد الاجتماعية. كما أن هنالك مجموعة من المعايير التي يمكن اعتمادها لتحديد المناطق التراثية والحفاظ عليها، فليس كل ما ورثناه من الماضي يعد مبنى أثريا، وفي ضوء هذه الرؤية يمكن أن نحدد مجموعة من المعايير الواجب مراعاتها ومن أهمها: الأصالة والابتكار: وتعني بالقيم المجتمعية المتوارثة والعناصر العمرانية الفريدة، والفن والجمالية وفلسفة العمران، فضلا عن عامل الزمن.

ان توفر أي من هذه المعايير في المبنى يمكن تصنيفه على أنه موروث يدخل ضمن قائمة التراث العمراني. وفي هذا الموضوع، لا بد من إيجاد وتحقيق توازن بين التنمية التي قد تضر بالمناطق التراثية، وبين اتباع استراتيجيات الحماية والحفاظ على معالمها الأثرية.

التوصيات:

في ضوء ما ذكر وما لم يذكر عن أهمية تطور المدن وتقدمها، لكن هذا لا يعني الاستغناء عن مبانيها التراثية التي تعبر عن هوية المدينة وأصالتها؛ لذا توصي الدراسة بضرورة المزج والحفاظ على جميع العناصر التراثية وتأهيلها وترميمها، وليس الاستغناء عنها أو إزالتها، من خلال اتباع استراتيجيات الحفاظ.

المصادر:

١- أبو الهيجاء، أحمد حسين، آليات التخطيط في حماية التراث العمراني – دراسة لتجربة إيطالية ومدى تطبيقها على واقع منطقة المدينة المنورة، مجلة أبحاث وتراث، عدد (٣)، الهيئة العامة للسياحة والآثار – المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣، ص١٦٠.

٢- بودريغو م. ف. دى اندرادى، "الحفاظ على المواقع الحضرية" ترجمة الدكتور خالص الاشعب في صيانة التراث الحضاري المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة – تونس ١٩٩٠. ص ٣٢٣.

٣- الجنابي، صلاح حميد، مشكلة التهرؤ (التدهور) في المدينة المعاصرة، التشخيص والمسببات، العدد ٣٥، بغداد، حزيران، ١٩٩٧، ص ٢.

٤- ضاري، عبد الجليل، الموسوي، سهاد كاظم الموسوي، الاعتبارات التخطيطية والتصميمية للمدن التاريخية القديمة العربية، حالة دراسية مدينة كربلاء، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد العاشر، ٢٠١١، ص٢١٢.

٥- عبد الحسن، يحيى، الموروث العمراني السكني في مدينة السماوة: أسباب التداعي وسبل الحفاظ، مجلة البحوث الجغرافية، العدد ٢٤ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦)، ص ٤-١٠.

٦- علي، ضياء خميس، تداعي الموروث السكني في مركز قضاء الأعظمية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)،٢٠٠٤، ص ٧٠.

٧- الكيلاني، مضر خليل عمر، قياس تداعي الموروث العمراني الحضري (أسس ومنهج) المجلة العلمية لجامعة تكريت، قطاع العلوم الهندسية، المجلد الثامن، العدد الأول، كانون الثاني، ٢٠٠١، ص٥٠٠.

٨- الموسوي، هاشم عبود، محمد صباح الشابندر، الموروث العمراني دراسة تحليلية في الإنقاذ والاحياء في تشكيل المدن، مجلة الموروث، العدد (٨٩)، دار الكتب والوثائق- بغداد، ٢٠١٥ص.

٩- الميالي، سمير فليح حسن، الموروث العمراني للمنطقة المركزية القديمة في مدينة كربلاء(بابا السلالمة انموذجاً)، ٢٠١٧، ص٢٦٨.

١٠- النجار، خالد عبد الجليل، تقييم جغرافي لبيئة التراث العمراني في مدينة تعز القديمة، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، العدد (٢٤)،٢٠٢٢، ص ٤٢٣.